يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولوا الالباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الاحد غرة صفر سنة ١٣١٩ — ١٩ مايو (ايار) سنة ١٩٠١)

السخاء والبخل

خلق الله الانسان يمقت الرذيلة بالطبع ويزري بالمتلبس بها، ويحب الفضيلة ويلهج باطراء صاحبها . واذا استقريتا سجايا الانسان وماقاله ويقوله الناس في الفضلاء من الثناء والمدح ، وما رموا به الرذلاء من سهام الذم والقدح ، يتسنى لنا ان نحكم بان السخاء ارفع الفضائل منزلة في القلوب ، واعلاها وقعاً في النفوس ، وابعدها طيراناً في جو الخيال ، وابدعها افتناناً في فنون السحر الحلال ، واكثرها دوراناً في الشعر ، واقواها سلطاناً على الفكر ، واحسنها تصريفاً للاقلام ، وتسخيراً للعقول والاحلام ، وان الاسخياء اشرف الناس عنصراً ، واكرمهم جوهراً ، واطيبهم نفوساً ، وأضوأهم شموساً ، واعزهم نفراً ، وابقاهم اثراً ، واوسعهم صيتاً وذكراً ، وأسمحهم حمداً وشكراً ، وان شئت حكمت بأنهم اوسع الناس وجوداً ، كما انهم اوسعهم جوداً ، ونحكم بضد ذلك كله وبضد ما لم نحكه من نعوتهم وصفاتهم ، وآياتهم وكراماتهم ، على اضدادهم البخلاء ، وبضدها تتميز الاشياء

ماهو السخاء وبم تعرف الاسخياء ؛ وماهو البخل وبم تميز البخلاء ؛ وهل يشتبه الضدان فيحتاج الى التعريف والتفرقة ، او يتشابه المتباينان فتزيل بينهما بالابانة والتفصلة ؛ ، نعم ان اكثر الناس لا يفقهون تحديد صفة السخاء والجود وصفة البخل والشح بل ولا يميزون بين الاسخياء والبخلاء تمييزاً حقيقياً فكثيراً ما يسمُون السخي الكريم ، بسمة البخيل اللئيم ، واكثر من هذا انهم يسمُّون الاشحة اللؤماء ، أجاود كرماء ، وهذا مما يثير دفائن العجب من النفوس ، ويستخرج بقايا الدهشة من اعماق القلوب ، لان المعهود فى الانسان انه يغفل عما لا شأن له عنده ، ولا مكانة له من نفسه ، ويحيط علماً بدقائق الامور ، ويكتنه خفايا الشؤن ، اذا كان لها سلطان قويٌّ على روحه ، وتأثير مؤلم او ملائم فى وجدانه ، حيث الداعية الى العلم ، والباعث الى الفقه والفهم ، وقد اشرنا الى مكانة الاسخياء الشريفة العليا ، ومنزلة البخلاء الدنيئة السفلى ،

استغفر الله : لقد ظلمت الانسان اذ ألصقت بمجموعه او جميعه ما هو خاصٌّ بالشعوب الجاهلة والامم التى ضعف فى افرادها معنى الانسانية ، ونزلت عن مراتب المدنية ، فامتلخت احلامهم ، وسادت اوهامهم ، يحكمون بالنظرة الحمقى لا يسبرون الاغوار ، ولا يغوصون البحار ، فأنى يظفرون بدرر الحقائق ، ويقفون على خفيات الدقائق ، ؟

من هو السخي عند هؤلاء ، وبم يعرفون السخاء ، ؟ السخاء عندهم هو التمتع بالمال ، ولو بما زاد على قدر الحال ، اكل وشرب ، ولهو ولعب ، وأثاث ورياش ، وسرير وفراش ، وخيول ومركبات ، ومراكب ذهبيات ، واستطابة الالوان ، للوجوه والاعيان ، واستعداد فى كل آن ،

لإطعام من يلمّ من الاخوان ، ممن على شاكلة السخيّ في وظائفه ورتبه ، أو على مقربة منه في فضته وذهبه ، وفاتهم ان هؤلاء هم الذين قال في مثلهم القرآن : « كلوا وتمتعوا قليلاً انكم مجرمون » والسخاء محمود عند الله ممدوح عند الناس فكيف يكون صاحبه مجرماً ؟

ومن الاسخياء ، في عرف هؤلاء الاغبياء ، من يُهدِي ليُهدَى ، ويُعطَى اكثر مما اعطى ، ان لم يكن من نوع ما بذله وجنسه ، فما هو انفس في نفسه ، فان لم يتقاض طعاماً بطعام ، ويتبادل مداماً بمدام ، فهو يشترى الجاه العريض الطويل ، بالعرض النزر القليل ، فدرهمه دينار ، كما هو شأن دهاقين التجار ، ومن يقول فيمن يطعمك قليلاً من اللحم ، او يهدى اليك مناً او منوين من السمن ، ليستخدم جاهك عند الحكام ، في الحصول على رتبة او وسام ، او في دفع مظلمة نزلت به بوادرها ، او الاستعانة على غنيمة ترجى غاياتها وأواخرها ، : ان هذا جواد كريم ، وسخي عظيم ؟ ، أليس قد قال تعالى : « ولا تمنن تستكثر » وهل ينهى الله تعالى عن الجود والكرم وهو الجواد الكريم ؟

أرأيتك هذا استسمنت وَرَمه ، واستغزرت دِيمه ، هل اهدى وبذل ، الا لذلك الأمل ، فهو مكتسب يستدر اخلافاً ، ودائن يأكل الربا أضعافاً ، اما كان لولا هذا العطاء ، لهذا الجزاء ، يبذل بدَرَ الدنانير ، وهو صاغر حقير ، يطيل مع التنفس إحصاءها وعدّها ، ويرجو على الحرص قبولها ويخشى ردّها ، ويرى لآخذها — وهي روحه — من الفضل عليه ، مثلما رأى له بالهدية او الدعوة من الفضل عليك ، نعم انه دعا او أهدى وهو يعلم انه يربح بذلك امتلاك قلبك (أولاً) وامتلاك قلوب الناس الذين يرونه

بذلك جواداً كريماً (ثانياً) وإعدادك لقضاء حوائجه (ثالثاً) وفي هذا الثالث من التوفير ما أشرنا اليه آنفاً ، فهو على كونه يمن ليستكثر ويأكل الربا اضعافاً مضاعفة غاشٌّ طامع ، وراشٍ مخادع ، ولو علم حاجتك الى صلته منه ليس لها منك عائد ، ولا تأتي بشيء من هذه الفوائد ، لما قابلك الا الا بالرد ، ولما وصلك الا بالاعراض والصد ، فما بالك اذا كان يَدُعُّ اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين ، ويمنع الماعون ، ويشكو حرصه الجيران والاقربون ، ولا يؤدي الزكاة الشرعية ، ولا يساعد الجمعيات الخيرية ، ولا يعضد المشروعات العلمية والعملية ،

ومن الناس من لا يعد مثل هذا في الاسخياء ويرى ان السخي الكريم هو الذي يرمي بالمال هكذا وهكذا يضرب به في كل فج وينفقه في كل سبيل — في سبيل الله تارة وفي سبل الشيطان تارة او تارات متبعاً في ذلك خطرات الوساوس ، ونزعات الهواجس ، ولا ينافي ذلك عندهم تمدده على حقوق الناس واكله اموالهم بالباطل كانواع الرشوة وضروب الضرائب ان كان حاكماً أو زعيماً او صاحب مكانة من الامراء المستبدين ، والسلاطين الجائرين ، وكأنواع الاحتيال والتزوير ان كان من غيرهم . يقولون : فلان لا يضام ، لانه من الكرام ، لا يرد سائله ، ولا يمنع احداً نائله ، قد اغنى زيداً ، فصار له يداً وأيداً ، (اي قوة) وعمر بيت عمرو ، بعد ما هدمه الفقر ، فجعله من أنصاره ، يستعين به على اوطاره ، وتبرع على جمعية كذا بمبلغ من النقود ، في يوم احتفالها المشهود ، وقد عين لعدة من الجرائد الوطنية والاجنبية ، رواتب شهرية او سنوية ، اعانة لاصحابها على اذاعة المعارف الرافعة ، ونشر الافكار النافعة ، فهي دائماً تعطر المشام بعرف نشره ،

وتشنف الآذان بحلي ذكره ، فان قيل إنه انما يبذل لجرائد المكدية التي ليس لها رأي ولا مذهب ، ولا لها مشرع ولا مشرب ، الا جمع المال بالاطراء والمدح ، او بالازراء والقدح ، ولا يشترك بجريدة لا يرجو منها الثناء ، ولا يخاف منها الازراء ، يحار المنصف فلا يحير جواباً ، ويكذب المتسمح في التشيع له كذاباً ، وقد يفضي السرف والمخيلة بهذا الصنف من المقرمين بالانفاق ، لاقتطاف ثمار التعظيم والتبجيل من جنات الشفاق ، الى أسوأ حالات الفقر والاملاق ، وذلك اذا قصرت يد سلطتهم ، وخضدت شوكة سطوتهم ، او كسدت اسواق حيلتهم ، ونضب معين ثروتهم ، ثم لا يجدون ممن اصطفوهم صانع معروف ، ولا باذل آحاد من تلك الألوف ، لانهم لا يصطفون كريماً شكورا ، « ان المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » (للكلام بقية)

القسم الديني

(المحاورة السابعة بين المصلح والمقلد — الاجتهاد والوحدة الاسلامية)

قد كان كلام الشاب المصلح في المجلس الماضي مؤلماً للشيخ المقلد لانه لم يكن في حسبانه ان يتعدى البحث الى ما تعدى اليه فلم يغب الا يوماً واحداً راجع فيه الآيات والاحاديث التي اوردها الشاب في الاستدلال على مقدماته وعاد في مساء اليوم الثاني وملامح الامتعاض والتبرم بادية على وجهه وقال في أول كلامه

(المقلد) : لقد اهتديت الى ما يبطل رأيك في ان الاختلاف في المذاهب كان سبباً في ضعف الامة وهو ان المذاهب كانت ايام كانت الامة